ISSN: 1812-0512 (Print) 2790-346X (online)

Wasit Journal for Human Sciences

Available online at: https://wjfh.uowasit.edu.iq

OPEN ACCESS

Original article

Fatimid cultural interests and their scholarly leaders during the Fatimid era (358 -400 H)

Raheem Obeid Jafjir Fadi Al-Doghani

Wasit Governorate Directorate of Education – Baqiat Allah Secondary School

***Correspondence author**:
fadyalrwyy4@gmail.com

Received:01 **October** 2025
Accepted: 03 **January** 2026
Published: 01 **February** 2026

DOI:
https://doi.org/10.31185/wjfh.Vol22.Iss1.1390

1812-0512 /© 2026 The Author(s). Published by Wasit Journal for Humanities Sciences, Wasit University. This is an open access article under the CC BY-NC-ND license (http://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0/).

Cite:
Al-Doghani, R. O. J. F. A.-. (2026). Fatimid cultural interests and their scholarly leaders during the Fatimid era(358 -400 H). Wasit Journal for Human Sciences, 22(1). https://doi.org/10.31185/wjfh.Vol22.Iss1.1390

ABSTRACT

This study explores the cultural interests of the Fatimids and their role in attracting scholars during the Fatimid era, which represented a significant turning point in Islamic history. The research employs a historical-analytical approach to highlight the scientific institutions established by the Fatimids, such as Al-Azhar Mosque and Dar al-Hikma, which served as hubs for knowledge and intellectual exchange. The findings reveal that the Fatimids' support for science and culture was not merely an intellectual renaissance but also a political and religious tool to legitimize their rule and promote Ismaili doctrine. The study recommends further comparative research on the Fatimid experience in contrast with other Islamic states

Keywords: Fatimid Caliphate, Medieval Islamic Culture, Intellectual Renaissance in Egypt

اهتمامات الفاطميين الثقافية ووفادة العلماء عليهم خلال العصر الفاطمي(358 – 400هـ)

م.م. رحيم عبيد جفجير فادي الدوغاني
مديرية تربية محافظة واسط – مدرسة بقية الله التكميلية

المُستخلص

يهدف هذا البحث إلى دراسة الاهتمامات الثقافية للفاطميين ودورهم في استقطاب العلماء خلال العصر الفاطمي، بوصفه مرحلة فارقة في التاريخ الإسلامي. اعتمدت الدراسة على المنهج التاريخي التحليلي لتسليط الضوء على المؤسسات العلمية التي أسسها الفاطميون مثل الجامع الأزهر ودار الحكمة، وكيف شكّلت مراكز لنشر الفكر والمعرفة. وتوصلت النتائج إلى أن رعاية الفاطميين للعلم والثقافة لم تكن مجرد نهضة معرفية، بل كانت أداة سياسية ودينية لتعزيز شرعية حكمهم ونشر مذهبهم. ويوصي البحث بضرورة إجراء دراسات مقارنة أوسع بين التجربة الفاطمية وغيرها من الدول الإسلامية في رعاية الثقافة.

الكلمات المفتاحية: الدولة الفاطمية، الثقافة الإسلامية الوسيطة، النهضة الفكرية في مصر.

1- مقدمة البحث

يُعدّ العصر الفاطمي (296–567هـ / 909–1171م) من المراحل التاريخية البارزة في العالم الإسلامي، إذ لم تقتصر أهميته على بسط النفوذ السياسي والعسكري، بل امتد أثره إلى الحقول الفكرية والحضارية، وقد جاءت الدعوة الفاطمية منذ بداياتها مرتبطة بالمعرفة والعلم، إذ اتخذت من التعليم والتثقيف أداةً لترسيخ المذهب الإسماعيلي، وفي الوقت نفسه فتحت المجال أمام العلماء والمفكرين من مختلف الأقاليم الإسلامية للمشاركة في صياغة نهضة فكرية كان لها صدى واسع.

أنشأ الفاطميون مؤسسات علمية رائدة مثل جامع الأزهر ودار الحكمة، وأسسوا مكتبات ضخمة وصارت القاهرة في عهدهم مركز إشعاع حضاري يتوافد إليها العلماء من الأندلس والمغرب والعراق والشام ومن هنا، فإن دراسة اهتمام الفاطميين بالعلم والثقافة ليست مجرد بحث في تفاصيل تاريخية، بل هي محاولة لفهم دور الثقافة في بناء الشرعية السياسية والدينية، وإبراز أثرها على الحضارة الإسلامية.

2- أهمية البحث:

تكمن أهمية هذا البحث في عدة جوانب:

1- إعادة الاعتبار للبعد الثقافي: إذ إن الدراسات التقليدية ركّزت على الصراعات السياسية والعسكرية للفاطميين، وأهملت في كثير من الأحيان الجانب الثقافي.
2- إبراز المؤسسات العلمية: مثل الجامع الأزهر ودار الحكمة والمكتبات الفاطمية، بوصفها منارات علمية لم تقتصر على المسلمين فحسب، بل اجتذبت أيضًا علماء من أديان ومذاهب متعددة.
3- تحليل دور العلماء الوافدين: وبيان كيف ساهم وجودهم في إثراء الحركة الفكرية، ونشوء بيئة علمية متفاعلة ضمت مدارس فكرية متنوعة.

4- إسهام في الدراسات التاريخية الحديثة: عبر تقديم قراءة موضوعية بعيدة عن الانحياز المذهبي، تستند إلى المصادر الأولية (مثل المقريزي والقاضي النعمان) والمصادر الحديثة (مثل حسن إبراهيم حسن وأيمن فؤاد سيد).

5- إضاءة على أثر الفاطميين الحضاري: الذي تجاوز حدود دولتهم ليستمر أثره حتى بعد سقوطها، عن طريق الأزهر وغيره من المؤسسات العلمية.

3- أسباب اختيار البحث:

تتعدد الأسباب التي دفعتني إلى اختيار موضوع «اهتمامات الفاطميين الثقافية ووفادة العلماء عليهم خلال العصر الفاطمي»، ويمكن إجمالها فيما يأتي:

1- الفراغ البحثي: على الرغم من كثرة الدراسات حول التاريخ السياسي والعسكري للدولة الفاطمية، وكذلك تناولت الدراسات السابقة والبحوث المعدة في هذا المجال جانبها الثقافي والعلمي، واكمالا للدراسات السابقة ارتأيت أن أقدم هذا البحث المتواضع ليكون متمما لما سبق.

2- الأهمية الحضارية: يمثل العصر الفاطمي إحدى الحلقات المضيئة في الحضارة الإسلامية، فقد تميز بعناية بالغة بالعلم والعلماء، وأنشأ مؤسسات تعليمية كبرى مثل الأزهر ودار الحكمة، وهو ما يستحق البحث المتعمق.

3- تأثيره الممتد: لم يقتصر الأثر الثقافي للفاطميين على عصرهم، بل امتد إلى العصور اللاحقة، ولا يزال الأزهر الشريف شاهدًا حيًا على ذلك.

4- تعدد المصادر: توفر عدد كبير من المصادر الأولية والحديثة (مثل المقريزي، القاضي النعمان، ابن تغري بردي، وأعمال الباحثين المحدثين) التي تسمح بتناول الموضوع تناولًا علميًا موضوعيًا.

5- الدافع الشخصي والعلمي: ينبع اختياري للموضوع من اهتمامي بتاريخ المؤسسات الثقافية الإسلامية ودور العلماء في بناء الحضارة، إضافة إلى رغبتي في المساهمة بدراسة أكاديمية تضيف جديدًا إلى المكتبة العربية.

4- مشكلة البحث:

المشكلة الرئيسة التي يتناولها هذا البحث لا تتعلق بمجرد إحصاء المؤسسات أو ذكر العلماء، بل بمحاولة فهم الدوافع الفكرية والسياسية التي جعلت من الثقافة محورًا أساسيًا في المشروع الفاطمي.

فالسؤال المركزي هو: هل كان اهتمام الفاطميين بالعلم والثقافة تعبيرًا عن قناعة حضارية حقيقية أم أنه كان وسيلة لتعزيز شرعية الحكم؟

ويتفرع عن هذا السؤال عدة إشكاليات:

1- ما أبرز ملامح الاهتمام الثقافي لدى الفاطميين؟

2- ما الدوافع وراء استقطابهم للعلماء من مختلف الأقطار الإسلامية؟

3- كيف انعكس ذلك على الحياة الفكرية والاجتماعية؟

4- إلى أي مدى أسهمت المؤسسات الفاطمية في صياغة هوية معرفية مميزة؟

5-

5- الدراسات السابقة

المصادر الأولية

- المقريزي (ت 845هـ): في كتابه اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الخلفاء، قدّم وصفًا تفصيليًا لحياة الفاطميين ومؤسساتهم. أما في المواعظ والاعتبار (الخطط المقريزية)، فقد ركز على المنشآت العمرانية والعلمية مثل المساجد والمكتبات.
- ابن تغري بردي (ت 874هـ): في النجوم الزاهرة قدّم معلومات قيّمة عن الخلفاء الفاطميين وعلاقتهم بالعلماء، رغم تركيزه الأساسي على التاريخ السياسي.
- القاضي النعمان (ت 363هـ): بصفته فقيه الدولة الفاطمية، عكس في مؤلفاته مثل دعائم الإسلام والمجالس والمسايرات المنظور الفكري الرسمي، مما يجعلها مصادر بالغة الأهمية لفهم البنية الفكرية للدولة.
- ابن خلكان (ت 681هـ) في وفيات الأعيان، عرض تراجم لعدد من العلماء الذين عاصروا الدولة الفاطمية أو ارتبطوا بها.
- ابن عذاري المراكشي (ت 695هـ) في البيان المغرب، أشار إلى النشاط العلمي في المغرب قبل انتقال الفاطميين إلى مصر.

المصادر الثانوية الحديثة

- حسن إبراهيم حسن (1984): في تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر وسوريا وبلاد العرب، جمع بين السرد التاريخي والتحليل الحضاري.
- أيمن فؤاد سيد (1992): في كتابه الدولة الفاطمية في مصر: تفسير جديد، قدّم قراءة نقدية حديثة، وركّز على البنية المؤسسية والثقافية.
- عبد المنعم ماجد: في تاريخ الحضارة الفاطمية في مصر، تناول المؤسسات العلمية بالتفصيل، بما في ذلك الأزهر ودار الحكمة.
- جمال الدين الشيال: في تاريخ مصر الإسلامية، خصص فصولًا للعصر الفاطمي وسلط الضوء على الحركة العلمية.
- محمد بن زيتون (1988): في القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية، أشار إلى دور المغرب العلمي قبل انتقال الفاطميين إلى مصر.

الدراسات الأكاديمية والرسائل الجامعية

- نشيدة رافعي (1983/1982): في رسالتها الحياة الفكرية والاجتماعية في المغرب في العصر الفاطمي ، قدّمت تحليلًا متخصصًا للجوانب الفكرية.
- يوسف حوالة (2000): في المسيرة العلمية في أفريقيا من زمن الفتح إلى حدود منتصف القرن الخامس الهجري ، ركّز على تطور العلوم في أفريقيا في العهد الفاطمي.

الموازنة النقدية

- المصادر الأولية وفرت مادة ثرية، لكنها تعكس أحيانًا الانحياز المذهبي أو السياسي.
- الدراسات الحديثة أعادت الاعتبار للجوانب الحضارية، لكنها لم تفِ بعد بحاجة موضوعية إلى دراسة شاملة تجمع بين المغرب ومصر في إطار واحد.

نقد المصادر والدراسات السابقة

عن طريق استعراض المصادر الأولية والثانوية، يمكن تسجيل الملاحظات الآتية:

1- المصادر الأولية:

- المقريزي: يُعد من أهم مؤرخي مصر الإسلامية، وقدّم في اتعاظ الحنفاء والخطط المقريزية تفاصيل ثرية عن المؤسسات الفاطمية. غير أن روايته يغلب عليها الطابع السردي والوصف العام، مع بعض الانحياز ضد الفاطميين نتيجة خلفيته المذهبية السنية.
- ابن تغري بردي: يُعطي في النجوم الزاهرة صورة شاملة للتاريخ السياسي والعسكري، لكنه يفتقر إلى العمق في وصف النشاط الثقافي.
- القاضي النعمان: بصفته داعية إسماعيليًا وفقيه الدولة الرسمي، تمثل مؤلفاته انعكاسًا للموقف الفكري الرسمي للفاطميين، وهو ما يجعلها غنية لكنها غير محايدة.
- ابن خلكان وابن عذاري: يقدمان مادة تراجمية مهمة عن العلماء، إلا أن المعلومات غالبًا متفرقة وغير مرتبطة بتحليل سياقي شامل.

2- المصادر الثانوية الحديثة:

- حسن إبراهيم حسن: قدّم أول محاولة شاملة لدراسة الدولة الفاطمية في أبعادها المختلفة، لكن تحليله ظل أقرب إلى السرد الوصفي منه إلى النقد التاريخي المتعمق.
- أيمن فؤاد سيد: تميزت دراسته بعمق نقدي ومنهجية حديثة، إذ أعاد قراءة التاريخ الفاطمي بعيدًا عن الطابع الطائفي، مما أعطى قيمة عالية لكتابه.
- عبد المنعم ماجد: ركز على المؤسسات الحضارية والثقافية، لكنه لم يتوسع كثيرًا في تحليل الأبعاد الفكرية.
- جمال الدين الشيال: تناول العصر الفاطمي في إطار تاريخ مصر الإسلامية، وقدّم رؤية متوازنة، إلا أن عرضه ظل عامًا دون تخصيص كامل للجانب الثقافي.

3- الرسائل الجامعية والأبحاث:

- نشيدة رافعي: تميزت دراستها بالتركيز على المغرب قبل انتقال الفاطميين إلى مصر، مما يعطي بعدًا مقارنًا مهمًا لكنه غير مكتمل.
- يوسف حوالة: قدّم إضافة نوعية في دراسة الحياة العلمية بأفريقيا في ظل الفاطميين، لكنه ركز أكثر على الجغرافيا العلمية دون الدخول العميق في السياسة الثقافية للدولة.

الخلاصة النقدية

- يمكن القول إن المصادر الأولية وفرت مادة ثرية لكنها مشوبة بالانحياز المذهبي أو محدودية الرؤية (إما سياسية أو رسمية). أما الدراسات الحديثة فقد نجحت في إعادة الاعتبار للجوانب الثقافية، لكنها لم تصل بعد إلى بناء تصور شامل يجمع بين مختلف الأبعاد (السياسي، الاجتماعي، الفكري). ومن هنا تبرز أهمية هذا البحث في محاولة سد هذه الفجوة عبر مقاربة تحليلية تجمع بين قراءة المصادر الأصلية والدراسات الحديثة في إطار متكامل.

6- هيكلية البحث

التمهيد

المبحث الأول :ملامح الاهتمام الفاطمي بالعلم والثقافة

المبحث الثاني: النشاط العلمي في العصر الفاطمي في المغرب في العصر الفاطمي

المبحث الثالث: الحياة الثقافية في الدولة الفاطمية في مصر

المبحث الرابع: دور المكتبات ودار الحكمة والوزراء في الحياة الثقافية في مصر الفاطمية

الخاتمة

تُعد الخاتمة بمثابة تلخيص لأبرز ما توصل إليه البحث من نتائج.

أهم النتائج والتوصيات :

لخص أهم النتائج التي توصلت إليها، مثل أن الاهتمام الفاطمي بالثقافة لم يكن شكليًا، بل كان عميقًا ومؤثرا قدم توصيات لمزيد من البحث في جوانب أخرى من تاريخ الدولة الفاطمية.

4. قائمة المصادر والمراجع

رتب المصادر والمراجع ترتيبًا أبجديًا، مع مراعاة توثيقها بشكل صحيح، سواء كانت كتبًا، أو رسائل جامعية، أو أوراقًا بحثية.

التمهيد

اللهم صل على محمد وعلى آله لابد من بدء البحث بالصلوات لإراحة النفس وتعطير اللسان، مع القرن الرابع الهجري كان المغرب الإسلامي قد شهد حركة سياسية دينية ثقافية وهي فترة مهمة في التاريخ الإسلامي لأنها تمثل فترة طويلة استمرت حوالي 271 سنة من تاريخ الدولة الفاطمية في (المغرب ومصر) لذا فإن إسهام الفاطميين في الحياة الثقافية لبلاد المغرب ومصر، وعكس الدور الثقافي لخلفاء ورجال الدولة في تغيير نمط الحياة، واستعمل الفاطميون عدداً من الوسائل لترسيخ حكمهم واستفادوا من استقطابهم لمشاهير الأدباء والمفكرين والعلماء وأنشأوا دور الكتب والعموم وفي مقدمتها دار الحكمة والجامع الأزهر.

وإذا كان البناء والعمران يندثر بفعل الزمن وظروفه، فإن ما تبقى من الدول الحضارات وثقافتها وما قدمته للبشرية، وحملت الدعوة الفاطمية العديد من مظاهر الحياة الثقافية لربما أغلبها مختلفة عما كانت عليه في السابق، وحاولت إرساء العديد من تلك المظاهر، وهذا جعل الحركة الثقافية تتطور تدريجياً وخلال فترات وجيزة.

تقسم الحياة الثقافية في العصر الفاطمي إلى مرحلتين: الأولى في المغرب والأخرى في مصر.

إن من أبرز العوامل التي أثرت في الحياة الثقافية عامة والأدبية خاصة هي مصادر التثقيف والتعليم، فقد لعبت المؤسسات التعليمية من مساجد، وكتاتيب، ومكتبات عامة وخاصة دور لا يستهان به في سبيل تثقيف المغاربة، فكانت تلك القنوات الخيار الأمثل الذي انتشرت عن طريقه العلوم والثقافة الإسلامية والعربية.

المبحث الأول :ملامح الاهتمام الفاطمي بالعلم والثقافة

شهد العصر الفاطمي اهتمامًا واسعًا بالعلم والثقافة، إذ جعل الخلفاء من القاهرة مركزًا فكريًا وحضاريًا مزدهرًا، وأنشأوا المكتبات الكبرى مثل (دار الحكمة) التي ضمت آلاف الكتب في الفقه والفلسفة والطب والرياضيات وغيرها من العلوم، واهتموا بتشجيع العلماء والمفكرين من مختلف الأديان والمذاهب والبلدان، فكان بلاطهم ملتقى للعلماء والشعراء والأدباء والمفكرين، كما انعكس هذا الاهتمام في المساجد التي تحولت إلى مدارس ومجالس علمية، مما أسهم في نشر الثقافة الإسلامية وتطور العلوم في العالم الإسلامي خلال تلك الحقبة.

وكانت المساجد في زمن الدولة الفاطمية مراكز دينية وثقافية مهمة، فهي تجسد قوة الدولة واهتمامها بنشر المذهب الإسماعيلي، وتميزت عمارتها بالفخامة والزخارف البديعة التي جمعت بين الطابع الإسلامي والعناصر الفنية المحلية، كما أصبحت المساجد في تلك الحقبة مراكز للعلم والتعليم ونشر الثقافة، إذ تُلقى فيها الدروس وتُدار حلقات الفقه والتفسير، وقد تركت هذه المساجد بصمتها الواضحة في تاريخ العمارة الإسلامية، مثل جامع الأزهر الذي لا يزال شاهدًا على روعة فنون البناء في العصر الفاطمي.

1- المساجد:

لقد ورث الفاطميون عددا من المساجد كانت موجودة قبل بداية دعوتهم، إذ قاموا باستقلالها بعد سقوط المغرب الإسلامي تحت أيديهم، وأصحبت هذه المساجد بمثابة مراكز لبعث الدعوة الإسماعيلية(هي حركة شيعية باطنية تؤمن بأحقية إسماعيل بن جعفر الصادق بالإمامة وهي من قام بتأسيس الدولة الفاطمية)، وقد كان أهم هذه المساجد الجامع الأعظم بالقيروان(هو جامع عقبة بن نافع الذي كان أقدم واهم مركز لنشر الفقه المالكي والعلوم في بلاد المغرب الاسلامي)، فقد شيدوا مسجدين آخرين هما: المسجد الجامع بالمهدية عاصمة الفاطميين، يستتر جداره القبلي إلى السور البحري للمدينة الذي بناء الخليفة الفاطمي الأول عبيد الله المهدي في سنة (274هـ)(وهو الامام الإسماعيلي الذي أسس الدولة الفاطمية في المغرب عام 296هـ) وعند الانتهاء من بنائه قال إلى هنا ينتهي مخلد الدجال(هو مخلد كيداد قائد ثورة الخوارج الاباضية المدمرة ضد الدولة الفاطمية في المغرب القرن الرابع الهجري)، أما المسجد الثاني هو مسجد الناقة الذي بناه الخليفة المعز لدين الله (وهو رابع الخلفاء الفاطميين نقل مركز الخلافة من المغرب الى مصر واسس القاهرة وفترة حكمه تمتد من 341- 365هـ)أثناء مروره بمدينة طرابلس(كانت ميناء بحريا استراتيجيا وحصنا فاطميا مهما للسيطرة على الشام ونفوذها الى جانب طرابلس الغرب في افريقية) متوجها إلى مصر عام (362هـ) فهو يعتبر أقدم جامع في طرابلس. (عماد الدين، 1188، ص. 56).

عمد الخلفاء الفاطميون عن طريق هذه المساجد إلى تثبيت دعائم حكمهم كخطوة اولى وكذلك نشر المذهب الإسماعيلي عن طريق حلقات التدريس التي كانت تلقى في المسجد خاصة فيما يتعلق بالعلوم الدينية من فقه وتأويل كخطوة ثانية.

2- الكتاتيب : شكلت الكتاتيب إحدى أقدم صور التعليم وأكثرها أهمية، وجاءت بعد المساجد التي ساهمت بشكل فاعل في نشر العلوم والمعارف المتنوعة وقد شهد المغرب ظهور هذه الكتاتيب مبكرا، وعرف المغرب إبان العهد الفاطمي الكتاتيب الخاصة والعامة، فالخاصة كانت تنتصب في قصور الفاطميين، والعامة كانت تنتصب في زوايا واركان المدن الأخرى، أما فيما يخص مناهج التدريس والمواد المدرسية فقد ذكر القابسي في رسالته تحت عنوان (الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين) يجب أن يتوفر في المؤدب من شروط عملية وضوابط التعامل مع الصبيان وما يجب أن يلقن لهم من مواد سواء تحفيظ القرآن أو تعليم القراءة والكتابة أو أصول الفقه والادب والشعر والنحو والحساب).(القابسي، 1986م، ص. 192)

بالإضافة إلى الطبيب المؤرخ أحمد بن إبراهيم بن خالد الجزار الذي ألف كتاب تربوي بعنوان (سياسة الصبيان وتدريبهم) وقد جاء فيه المؤلف بعدد من النظريات التربوية، فكتبت هذه المؤلفات بلغة مبسطة تدعم الاتجاه التعليمي الفاطمي في التأليف، فكانت هذه المؤلفات موجهة للصبيان من المتعلمين حرص على نشر الدين وتبسيط قواعد اللغة، إذا كان الهدف من هذه الكتاتيب في العصر

الفاطمي –هي تنشئة النشئ المغربي على المذهب– الدور المهم الذي لعبه الفاطميون في تنشيط الحركة الثقافية (رافعي، 2005، ص. 374).

3- المكتبات:

أدت المكتبات دورًا بارزًا كمؤسسات تعليمية في تعزيز الثقافة ونشر المعرفة والعلوم ، فالمكتبات اشتقت اسمها من لفظ كتاب، وشكل الكتاب أهمية بالغة عند الخلفاء الفاطميين؛ لذلك اعتنوا بالمكتبات والكتاب لأسباب عديدة أهمها: السعي لنشر التعليم، واعتناء الخلفاء أنفسهم بحفظ كتب أباءهم وأجدادهم عن طريق اقتناء نفائس الكتب والمخطوطات، ومثال على ذلك أن الخليفة عبيد الله المهدي حمل معه جميع كتب ووثائق أبائه وهو ذاهب من سلمية إلى سجلماسة(هي مدينة تاريخية قديمة في المغرب اشتهرت كمركز انطلاق رئيس لتجارة الذهب العابرة للصحراء الكبرى)، ولكنها سرقت منه وهو في طريقه في مكان يسمى بـ(الفاحونة)، وهي تقع بالقرب من طرابلس، لكن ذلك لم يحل دون قيام القائم بأمر الله أن يستعيد هذه الوثائق عند مسيره لفتح مصر للمرة الأولى سنة(388هـ) تميّز العصر الفاطمي بظهور مكتبتين رئيسيتين من حيث طبيعتها، إحداهما خاصة والأخرى عامة ولعل أبرز هذه المكتبات برزت مكتبة بيت الحكمة فقد كانت بمثابة مكتبة عامة كانت جامعة أفريقية علمية أدبية لغوية في العصر الأغلبي(هو عصر الدولة الاغالبة، امارة شبه مستقلة حكمت افريقية تونس حاليا من 184هـ واشتهرت بفتح صقلية وسقطت على ايدي الفاطميين سنة 296هـ) ورثه الفاطميون من بعد، واتخذوه مركز المجالس الدعوة الإسماعيلية(هي حلقات تعليمية منظمة وسرية لنشر المذهب الإسماعيلي الباطني عبر شبكة من الدعاة بهدف قيام الدولة الفاطمية) فيه يناظر دعاته علماء السنة، إلا أن هذا لم يمنع من وجود حركة علمية وثقافية، وحركة عقلية ناشطة ووعي ديني لتبادل الأفكار، شحذ القرائح في هذا البيت وخارجه في كامل البلاد، كما لم يمنع من بروز علماء أفرزهم مجالس المناظرة والجدل(أبرز علماء المناظرة والجدل الذين كانوا العصب الفكري للدعوة السرية أو في مرحلة التأسيس الفاطمي هم:

أبو عبد الله الشيعي: (الداعي الذي أسس الدولة) اشتهر بمهارته الجدلية الفائقة في إقناع قبائل كتامة القاضي النعمان بن محمد: (مؤسس الفقه الفاطمي) الذي قام بتأصيل وترتيب الحجج الفقهية والدعوية)، وكانت تعقد في بيت الحكمة مرة كل أسبوع، وكان بمثابة إشعاع ثقافي بالغ الأهمية فهو الإطار العام الذي ازدهرت فيه العلوم والفنون وتطور الأدب بشكل عام، وتمثل النشاط الثقافي لبيت الحكمة بما كان يقوم علماء بيت الحكمة وأطباؤه وأدباؤه من دراسة وترجمة وتأليف في شتى الميادين الذين أثروا بيت الحكمة بمؤلفاتهم من بينهم أبي اليسر الشيباني(أبو اليسر الشيباني (إبراهيم بن أحمد): أديب وشاعر ولغوي من بغداد، استقر بالقيروان وتولى رئاسة ديوان الإنشاء للأغالبة ثم الفاطميين (العصر الأغلبي/الفاطمي المبكر)، ومن أبرز كتبه "لقط المرجان" في الأدب)، وأبو جعفر البغدادي (أبو جعفر البغدادي (محمد بن حبيب): علّامة بغدادي من موالي بني العباس، كان مؤدباً وعالماً بالأنساب والأخبار واللغة والشعر في العصر العباسي، ويُعد من أبرز المؤرخين والنسّابين وله كتاب "المُحَبَّر".) بالإضافة لعدد من الاطباء كأحمد بن الجزار (أحمد بن الجزار (أبو جعفر القيرواني): طبيب وفيلسوف شهير من القيروان، عاش في العصر الفاطمي، وهو أول طبيب عربي متخصص في طب الأطفال، وصاحب كتاب "زاد المسافر وقوت الحاضر".) وموسى بن العزار(موسى بن العزار (الإسرائيلي): طبيب يهودي ذو حذق وتقدم في صناعة الطب والصيدلة، كان هو وآل بيته في خدمة الدولة الفاطمية (خاصة الخليفة المعز)، وهو أول

من ركّب "شراب التمر هندي" طبياً.) واسحاق بن إسليمان بن سهل بن دونش(إسحاق بن سليمان بن سهل (أبو يعقوب الإسرائيلي): طبيب وفيلسوف يهودي عظيم من مصر والقيروان (عاصر الأغالبة والفاطميين)، برع في الفلسفة والمنطق والطب، وهو شيخ الطبيب ابن الجزار، وله كتاب "الحميات") وفتح بيت الحكمة المجال لكل طبقات المجتمع سواء الخاصة أو العامة لتلقي العلوم والاحتكاك بعلمائه(رافعي، 2005، ص. 440)

اما المكتبات الخاصة قد ذكر المؤرخون اخبارا متفرقه عن وجود المكتبات الخاصة لدى العلماء في بيوتهم وهي توضح لنا العناية الفردية بالكتاب والمكتبات وتصور لنا الوعي المكتبي آنذاك إذ نجد ان كتب ابي العرب تميم بلغت (3500) كتاب بخط يده وان عبد الله بن هاشم التجيبي (عبد الله بن هاشم التجيبي: شاعر وأديب أندلسي من أسرة بني تجيب الحاكمة في سرقسطة، عاصر فترة الخلافة الأموية وسقوطها.) اقتني كتب كثيرة من جميع العلوم وكانت هنالك مكتبة احمد بن الجزار التي تحتوي كتب طبيه وغيرها، وقد كان للمعز لدين الله مكتبة في المنصورية (مكتبة المنصورية: هي المكتبة الملكية الكبرى التي أسسها الزيري المنصور بن بُلُقّين في عاصمة الزيريين (المنصورية قرب القيروان)، وكانت من أكبر مكتبات المغرب) عامرة بالكتب يعرف مواضع بما اشتملت عليه من مؤلفات وما تضمّنته من معلومات (زيتون، 1988م، ص. 415)

– المبحث الثاني: النشاط العلمي في العصر الفاطمي في المغرب في العصر الفاطمي

تنوع النشاط العلمي في العصر الفاطمي في بلاد المغرب ليشمل عدداً من العلوم من اهمها العلوم الشرعية والعلوم النقلية والعلوم التطبيقية:

أولاً: العلوم الشرعية

ونقصد بالعلوم الشرعية هنا التفسير والحديث والفقه: ارتبطت الحياة الثقافية في العصر الفاطمي ارتباطًا وثيقًا بمذهبهم الديني، حيث سعى الفاطميون إلى نشر العقيدة الإسماعيلية في مختلف أرجاء دولتهم وترسيخ فكرة المهداوية في النفوس. وقد اعتمدوا في ذلك على نشر التعاليم الفلسفية الممزوجة ببعض مظاهر السحر، وتسخير الأدب والشعر لخدمة هذا الهدف. كما حرصت الدولة على تنظيم الدعاية الدينية والسياسية بشكل محكم، فأنشأت مناصب خاصة مثل داعي الدعاة ومعاونيه (داعي الدعاة: هو أعلى منصب ديني وقيادي في التسلسل الهرمي للدعوة الإسماعيلية الفاطمية، وكان مسؤولاً عن قيادة شبكة الدعاة ونشر المذهب.)، ودعّمت ذلك بتأسيس مؤسسة بيت الحكمة، إضافة إلى محاولاتهم إضعاف المذهب السني واستبداله بالمذهب الإسماعيلي. (بونار، (د.ت)، ص. 69)

1- التفسير: شهد العصر الفاطمي تطورًا ملحوظًا في علم التفسير، على يد اثنين من أبرز علماء المذهب الإسماعيلي، وهما القاضي أبو حنيفة النعمان بن أبي عبد الله محمد بن حيون(القاضي أبو حنيفة النعمان: هو الفقيه والمشرّع الأكبر للدولة الفاطمية، وهو المؤسس الفعلي لمذهبها الفقهي الإسماعيلي (و 299 هـ / ت 363 هـ)، وجعفر بن منصور اليمني(جعفر بن منصور اليمني: هو داعية إسماعيلي بارز من اليمن، ومن أوائل منظري عقائد الدعوة ومنظِّمها الشعري والفلسفي (و 270 هـ / ت 346 هـ).)، فقد ألف كلاهما كتب في علم التفسير والتأويل فقد الف القاضي النعمان علم التفسير والتأويل، اما اليمني فقد الف كتاب تأويل الذكاة وكتاب الفترات القرانات وكتاب أسرار النطقاء(المراكشي، 1983م، ص. 163)

2- الحديث: أولى الفاطميون علم الحديث عناية كبيرة، وعدّوه أحد المصادر الأساسية للعقيدة الإسلامية، معتبرين أن تجاهله تفريط في الدين وأصوله. لذا حرصوا على تمحيص الأحاديث ونقدها بدقة والاحتفاظ بها ، وكان من بين الاحاديث التي ظهرت في عصرهم قول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) (المهدي من نسلي، يحيي سنتي ويُتمّ رسالتي، ويسعى للأخذ بثأر أهل بيتي، ويملأ الأرض عدلًا وإنصافًا بعد أن كانت مليئة بالظلم والجور)(القاضي النعمان، 1983م، ص. 33)

3- الفقه: تأثّر الفقه في العصر الفاطمي بالمغرب بمبادئ المذهب الإسماعيلي، وبرز في هذا المجال القاضي النعمان بوصفه أبرز شخصية تشريعية رافق القاضي النعمان الخليفة المعز لدين الله عن قرب، حتى أصبح يتمتع بمكانة ونفوذ غير مسبوقين في الدولة الفاطمية، لم يُدركهما غيره من القضاة إلا قلائل جدا من رجالات.

ومن مؤلفاته ألّف القاضي النعمان كتاب دعائم الإسلام بطلب من الخليفة المعز لدين الله، وهو مؤلَّف فقهي يتناول مسائل الحلال والحرام والقضايا والأحكام، ويقع في مجلدين يقاربان سبعمائة صفحة كما يُعدّ من بينهم الفقيه أبو يعلى أحمد بن محمد المروذي قاضي المنصور(هو أبو يعلى الحنبلي، شيخ الحنابلة وقاضي القضاة في بغداد، يُعد من أبرز منظّري الفقه الحنبلي (و 380 هـ / ت 458 هـ)، وعمل المروذي للخلفاء الفاطميين الثلاث (المهدي، القائم، المنصور) لعبوا دورًا بارزًا في المغرب زمن الحكم الفاطمي، حيث أوكلت إليهم الدولة مهام القضاء. (حسن وشرف، المعزلدين الله، د.ت، ص. 258)

ثانياً – العلوم النقلية:

اهتم الفاطميون بالعلوم النقلية وكان من أبرزها الادب والشعر واللغة والنحو وعلم التاريخ.

1- الأدب: تضافرت مجموعة من العوامل في ازدهار الحركة الأدبية، من بينها الاستقرار السياسي النسبي، والرخاء الاقتصادي الناتج عن اتساع رقعة الدولة، إضافةً إلى حرص الفاطميين على رعاية الأدب وأعلامه، وتمتع خلفائهم بذوق أدبي رفيع فقد كان الادب في نوعيه وهما النثر والشعر في أبهى صوره (عبد الوهاب، 1965م، ص. 246)

أ- **النثر:** عرف النثر في العصر الفاطمي تنوّعًا في أساليبه، وبرزت فيه الكتابات الوعظية والوصايا التي لاقت انتشارًا واسعًا آنذاك، تميّز عهد الخليفة الأول عبيد الله المهدي (296–322هـ) بكثرة المراسلات الرسمية بينه وبين ولي عهده أبي القاسم، الذي كان يتولى قيادة عدد من الفتوحات في الغرب. وقد اتسمت تلك الرسائل بقوة التعبير ورصانة الأسلوب، مع عناية واضحة باستخدام فنون البلاغة ومحسّنات البديع كالسجع والطباق وغيرها. وكذلك التفنن في استخدام الجمل الاعتراضية، والاستشهاد بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وبالتأكيد عن استخدام عبارات التمجيد والتفخيم للخليفة، وترديد عبارات أمثال حجة الله في الأرض، وولي الله (الكنوني، 1981م، ص. 173) ويُروى أنه قال: "من ترك الدنيا أحب الله، ومن ترك الذنوب أحبه الملائكة، ومن ترك ما لا يعنيه أحبه المسلمون"(الدوغاني، 2025، ص. 359)

تولّى أبو اليسر إبراهيم بن محمد الشيباني إدارة ديوان الرسائل فقد استكتبه المهدي وظل يزاول مهامه حتى مماته سنة(298هـ) ثم استكتب كما عيّن الخليفة كاتبًا آخر هو أبو جعفر محمد بن أحمد بن هارون البغدادي، الذي لم يمض وقت طويل حتى تمت ترقيته إلى منصب صاحب الديوان إلى جانب عمله في الكتابة ذلك عام (388هـ)، وفي عهد الخليفة القائم بأمر الله (322–334 هـ) أصبح النشاط النثري قليلا على ما كان عليه سابقا أما على صعيد المكاتبات الرسمية، فقد تأثرت بشدة بسبب ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد، التي شغلت معظم سنوات حكم الخليفة، مما أدى إلى بقائه محاصرًا في عاصمته المهدية ومعزولًا عن إدارة شؤون الدولة.

وفي عهد ابنه الخليفة إسماعيل المنصور (334–341هـ) عادت المراسلات الرسمية لتشهد نشاطًا ملحوظًا، حيث جرى تبادل الكتابات بين الخليفة وقادته ورجال دولته."

وفي فترة حكم الخليفة الرابع المعز لدين الله (341–362هـ) فقد كان حافلا بالنشاط النثري الإداري والدليل على ذلك أن قوة الدولة ونفوذها اقتضتا تبادل الرسائل الديوانية بين الخليفة وقواده ورجال دولته من جهة، وبين الخليفة وبعض الثائرين عليه من جهة أخرى، ومن أبرز الأمثلة على المراسلات الديوانية ما ورد في رسالة الخليفة المعز لدين الله إلى الخليفة الأموي عبد الناصر (هو أقوى وأشهر خلفاء بني أمية في الأندلس (قرطبة)، وهو الذي أعلن الخلافة عام 316 هـ، رافعاً من مكانة قرطبة لتنافس بغداد والقاهرة وفترة حكمه: حكم من 300 هـ إلى 350 هـ.)، حيث جاء فيها: فإن حركني الله إليه وقذف في قلبه حربه وغزوته، قال الله تعالى: (ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خيرٌ لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً ولهم عذاب مهين)، فلينتظر إحدى نتيجتين؛ إما الفناء أو الامتلاء.

كما تميّز العصر الفاطمي بفن نثري خاص لم يظهر في غيره بنفس الصورة، وهو التوقيعات السلطانية، التي بدأ استخدامها منذ عهد الخليفة المؤسس عبيد الله المهدي. ومن أمثلتها توقيع الخليفة على قرار عزل القاضي أبي إسحاق بن أبي منهال سنة 311هـ (هو أحد القضاة البارزين في بلاد إفريقية (تونس حالياً) في بداية القرن الرابع الهجري، وعاصر فترة قيام الدولة الفاطمية الثانية (عهد القائم بأمر الله) في القيروان وما حولها)، حيث كتب إليه: لم نعزلك عن تقصير، وإنما عزلناك للينك. ثم أعاده بعد عام إلى منصبه، وكتب في توقيع إعادته: إنما عزلناك للينك، ورددناك لدينك وأمانتك".

كانت الأوضاع في زمن الخليفة المعز لدين الله، الذي يُعد آخر خلفاء الفاطميين في المغرب قبل انتقالهم إلى مصر، ويُذكر من تلك التوقيعات ما صدر لقاضيه النعمان، عند ظهوره بالحزن على وفاة المنصور، حيث جاء فيه (يا نعمان، ليجمل عزاك ويحمل صبرك، فمولاك معني ومولاك بقي، وأنت واحد عندنا ما كنت واحدا عنده، فطب نفسا وقر عينا) ، والتوقيعات لون جذاب من ألوان التعبير الأدبي يتلخص فيما يعلق به الخليفة على ما يقدم إليه من الكتب، وتمتاز التوقيعات بأنها تجمع بين الإيجاز والإجمال.(حسن، 1984م. ص. 265) ، وقد حفظت لنا المصادر كتبًا ذات قيمة كبيرة في دراسة تاريخ الفاطميين بالمغرب ومن أبرز هذه المؤلفات كتاب المجالس والمسيرات للقاضي النعمان، وكتابه الهمة وفضل الأئمة، إضافة إلى كتاب تلقيح العقول للأديب بريهة بن أبي اليسر. (حسن، 1984م، ص. 265)

ب- الشعر: ومنذ قيامها، سخّرت الدولة الفاطمية جهود عدد من الشعراء الذين ضمّتهم إلى بلاطها، لتسخير شعرهم في خدمة الدولة والدعوة وتبيت أركانها وقد امتاز الشعر بالمدح والهجاء على وجه الخصوص، ثم موضع الفخر والوصف ومن بين ما ظهر في هذا العصر ما يُعرف بالشعر الروحي. كما شهد العصر الفاطمي تعدد طبقات الشعراء، ومنهم الخلفاء أنفسهم مثل: عُرف عن الخلفاء الفاطميين في المرحلة المغربية اهتمامهم بنظم الشعر، غير أن إنتاجهم الشعري تباين من حيث الكم والنوع من خليفة لآخر. فالخليفة عبيد الله المهدي، على سبيل المثال، لم يُنسب إليه سوى مقطوعتين فقط، إحداهما تتناول الوعيد، جاء فيها:

فـإن تســـتقيموا إســـتقمتم لصـــلاحكم وان تـعـدلـوا عـنـي أرى قـتـلـكـم عـدلا
أعـمـلـوا بســـيـف قـاهـرا ســـيـفـكـم أودخـلـهـا عـقـول و أمـلاءهـا عـدلا

أما الخليفة القائم بأمر الله، فكان أكثر اهتمامًا بالشعر من أبيه؛ إذ عُرف بشغفه بجمع دواوين الشعر، فكان يرسل في طلبها إلى مختلف الأقاليم والبلدان، ولا يتردد في دفع أثمان عالية للحصول عليها. وله أيضًا أشعار نظمها بنفسه، ومن ذلك قصيدة بعث بها إلى أبيه، وهي من شعر الوعيد، جاء فيها:

يـا أهـل شـــرف الله ازلـت حلو ملكهم أم أصـــــد عن من قلـه الفهم و الأدب
فـويـحـا لـكـم خـالـفـتـم الـحـق والـهـدى مـن حـاد عـن أم الـهـدايـة لـم يصـــب

أما الخليفة المنصور فقد عرف عنه نظم الشعر، وقد نُسب إليه مقطوعتان شعريتان؛ الأولى مؤلّفة من ثمانية أبيات، أرسلها في رسالة إلى ولده المعز لدين الله أثناء مطاردة أبي يزيد، وهي مقطوعة يجتمع فيها الشعور بالشكوى مع الإحساس بالخطر. (جاد الرب، د.ت، ص. 18)

ولم يكن الخليفة المعز لدين الله مختلفًا عمن سبقه من الخلفاء، إذ كان هو الآخر شاعرًا وأديبًا، وظهر في شعره ميل واضح إلى توظيف المحسنات البديعية المنتشرة في عصره. وقد نُسبت إليه عدة مقطوعات شعرية، جاءت جميعها في موضوع الفخر بالأنساب.

اطلع أطلع الحســـن من جبينك شـــمســـا فـــوق ورد فـــي وجـــنـــتـــيـــك اطـــلا
وكـأن الـجـمـال خـاف عـلـى الـورود جـفـاف فـمـر الشـــعـــر ظـــلا

(جاد الرب، د.ت، ص. 18)

وأما الشعراء من غير أفراد البيت الحاكم: وقد شهد هذا العصر ظهور عدد كبير من الشعراء الذين أسهموا بجهدهم وإنتاجهم الواسع في تنشيط الحركة الأدبية عامة، والشعرية خاصة. ومن أوائل من برزوا في هذا الميدان خلال العصر الفاطمي، ولا سيما في عهد الخليفة عبيد الله المهدي، الشاعر محمد بديل الكاتب (محمد بديل الكاتب: لا يوجد شاعر معروف بهذا الاسم المركب تحديداً؛ وقد يكون الاسم المقصود هو "بدل رفو المزوري" (وُلد 1960 م) وهو شاعر وكاتب عراقي معاصر مختص بالشعر وأدب الرحلات). ويُذكر من شعره أنه وقف مادحًا الخليفة عبيد الله المهدي عند قدومه إلى مدينة رقادة سنة 297هـ(رقّادة هي مدينة أغلبية أثرية في تونس، أسسها الأمير إبراهيم بن أحمد لتكون عاصمة الدولة الأغلبية سنة 264 هـ)، وهي اليوم موقع أثري يضم المتحف الوطني للفن الإسلامي)، ومن قصيدته المشهورة في ذلك الموقف، التي مطلعها:

حـل بـرقـادة الـمســـيـح حـــل بـــهـــا آدم ونـــوح

كما برز شاعر آخر دفعته الظروف إلى التقرب من الفاطميين، وبخاصة من الخليفة المنصور، وهو أبو القاسم الفزاري (أبو القاسم الفزاري: هو محمد بن عبد الله الفزاري (توفي حوالي 345 هـ / 956–957 م)، شاعر فاطمي من القيروان اشتهر بتقلب مواقفه السياسية ومدح الحكام المتغلبين). ويُعد هذا الشاعر من أبرز شخصيات النهضة الأدبية في العصر الفاطمي، لما قدمه من إنتاج غزير في الكم والنوع. وقد اشتهر بقصيدته الطويلة المعروفة باسم القصيدة الفزارية (اليعلاوي، 1973م، ص. 164)

2- علم اللغة والنحو: لعب الخلفاء الفاطميون دورًا مهمًا في هذا الجانب، إذ أظهر المعز لدين الله عناية خاصة بعلم النحو ومن الشواهد على اهتمام المعز لدين الله بالنحو أنه طلب من أحد النحاة البارزين، الفزاري القيرواني، أن يؤلف كتابًا في هذا العلم. وقد عُرف عن المعز براعة لغوية ونحوية واضحة، إذ كان يعقد في مجلسه حلقات يحضرها كبار العلماء، وتُناقَش فيها مسائل لغوية ونحوية مع علماء من المشرق، كابن قتيبة. وكان المعز يشارك بآراء نقدية يعتمد فيها على الحجج العملية، فيفند بها أقوال بعض هؤلاء العلماء، مما يدل على رسوخ معرفته بفقه اللغة والنحو وكما يُعدّ القاضي النعمان من أبرز المهتمين بالعلوم العربية في العصر الفاطمي، ويتضح ذلك عن طريق تأليفه لكتاب لغوي بعنوان الرسالة في قراءات البيان. ويعد ابو عبدالله محمد بن جعفر التميمي الفرازي القيرواني الذي ولد بالقيروان ونشأ وتلقى العلوم فيها، وشغف بالأقبال على برزت في العصر الفاطمي دراسة النحو واللغة، وظهر عدد من أشهر اللغويين والنحاة الذين أسهموا بمؤلفاتهم في إثراء الحركة الأدبية، ومن بينهم (كتاب الحروف، كتاب المعترض، كتاب المفترق، كتاب الجامع كتاب المثلث، كتاب العشرات، كتاب المئات، كتاب الضاد والظاء، كتاب المثلث) (القاضي النعمان، 1983م، ص. 199–200) (زيتون، 1988م، ص. 334)

3- علم التاريخ والجغرافية: ففي التاريخ: خلال زمن حكم الفاطميين وجه أبو حنيفة النعمان المغربي جانبا من فكره الى الناحية التاريخية فألف كتاب (شرح الاخبار وارجوزة تسمي ذات المئن وأخرى تسمي ذات المحن)، ويُعدّ كتاب افتتاح الدعوة والزُّهرة من أشهر مؤلفاته التاريخية، وهو مخطوط محفوظ بجامعة القاهرة. وله كذلك كتاب آخر بعنوان (مناقب بني هاشم ومعالم الهدى)، والمجالس والمسايرات والرسالة المرشد الداعي بمصرفي تربية المؤمنين، أما في مجال النسب وفي العصر الفاطمي، كان من أشهر النسابين ابو أيوب بن يزيد مخلد بن كيداد، وقد نشأ هذا النسّابة نشأة المؤرخ، واتصل بأبي يوسف الورّاق(أبو يوسف الوراق: هو يوسف بن يحيى البويطي (توفي 269 هـ / 882 م)، محدث وراوية وفقيه، اشتهر بمهنته في نَسْخ الكتب وبيعها (الوراقة)، وكان من أوائل من نشروا ونقلوا الكتب الكلاسيكية من اللغات الأخرى إلى العربية)، أبرز مؤرخي العصر الفاطمي، فأطلعه الورّاق على نسب أبيه الذي يعود إلى قبيلة (يفرن)(المالكي، 1983م، ص. 346)

اما علم الجغرافية في العصر الفاطمي في القرن الرابع فشهد بعض العلماء الذين الفوا في المسالك والممالك، إلا ان كتبهم قد فقدت بعد ان استفاد منها من اتى بعدهم فقد الف محمد بن يوسف الوراق كتابا ضخما في مسالك افريقية وممالكها، وعنه ينقل البكري كثيرا في المسالك والممالك، ومن الخريطة التي عملت المعز لدين الله في المنصورية معاني كثيرة، وتتعلق بالتقدم في الفكر الجغرافي التاريخي آنذاك، فقد بين كافة اقطار العالم ثم الجبال والبحار والانهار الطرق والمدن، واذا كانت هذه الخريطة تبين ذلك فان هذا يعطينا المعنى الوصفي الذي كان يستمد منه صانع الخريطة المعاني الجغرافية التاريخية التي تتعلق بالأقطار وحدودها والطرق اليها

ثم ما فيها من جبال وانهار ومراسي ثم المدن وما يدور فيها من سكان ومزروعات ومصنوعات وغيرها من الأمور التي تتعلق بمجال الجغرافية(زيتون، 1988م، ص. 379)

ثالثا – العلوم التطبيقية:

المقصود بالعلوم التطبيقية، هي تلك العلوم المختصة بالطب والفلك والرياضيات، ولم تلق هذه العلوم الاهتمام الكافي بالقدر الذي لقيته باقي العلوم الشرعية والأدبية، ففي مجال الطب ارتبط الطب في العصر الفاطمي بعدد من الأطباء اليهود والذين ساهموا في تطوره، وأغلب هؤلاء الأطباء عاصروا الدولة الأغلبية، ثم التحقوا بخدمة الفاطميين بعد قيامها ببلاد المغرب الإسلامي، ومن بين هؤلاء الأطباء المشهورين إسحاق بن سليمان مصري الأصل الذي سكن القيروان ووافاه الاجل فيها ولازم الطبيب إسحاق بن عمران وتتلمذ على يده، وكان طبيبا ماهرا عاش أكثر من مائة سنة، فأسهم في اثراء الحياة العلمية في المغرب، وقد ترك إسحاق بن سليمان مجموعة من ومن الكتب الطبية المهمة كتاب الأدوية المفردة والأغذية وكتاب مدخل الى صناعة الطب وكتاب الحميات، ومن الأطباء الذين أدركوا حكم الدولتين الأغلبية والفاطمية زياد بن خلفون، وقد تلقى تعليمه الطبي على يد سلمان بن عمران والتحق بخدمة الخليفة عبيد الله المهدي بعد أن تولى الخلافة، وكذلك من مشاهير الأطباء أيضا، أبو سهل دونش الملقب بالشفلجي، الذي ولد بالقيروان وتلقى العلم على يد الطبيب إسحاق بن سليمان، ويعد مرجعا هاما في الطب والعلوم، حتى أن ابن البيطار الطبيب الأندلسي المشهور أورد اسم أبي شهل في مؤلفاته إذ ذكر أنه أخذ عنه في وصف بعض النباتات، كما كان لدونش نشاط عظيم في التأليف فتنسب إليه المصادر مؤلفات عديدة أثرى بها المكتبة الأفريقية وأغلبها في ميدان الطب والفلك والحساب، ومن أشهر ما ألف في هذه العلوم المتعدة: وهو صاحب كتاب في الحساب الهندي، المعروف بـ'حساب الغبار'، ويُعد هذا العمل من أقدم المؤلفات في هذا المجال كتاب في الفلك وحركة الكواكب وغيرها من المصنفات(رافعي، 2005، ص. 557)

المبحث الثالث: الحياة الثقافية في الدولة الفاطمية في مصر

العلوم التطبيقية: من بين أهم تلك العلوم

الطب : فقد اشتهر هذا النوع من العلوم بشكل موسع على غرار العلوم الأخرى، وتُعد أسرة العزّار من الأسر التي لمع اسمها في العصر الفاطمي التي اشتغلت في الطب في زمانهم ، وتعود هذه الأسرة إلى اليهود، وقد استقرّت في إقليم إفريقية وكان أوّل من عُرف من هذه الأسرة موسى بن العزّار وكان بارعا في طب العيون وهو الحقل الذي تخصص فيه، ولقد اصطحبه الخليفة المعز لدين الله إلى مصر ومما ينسب إليه من مصنفات كتاب أمراض العيون وفي مجال الطب ومعالجة الأمراض، فتح داره لاستقبال المرضى وعلاجهم وهي سقيفته (صيدلية) وكان يأمر غلامه ببيع ما وُجد فيها من العقاقير بإرشاد ابن الجزار نفسه، والى جانب عمله كطبيب كانت هوايته جمع الكتب الطبية واقتنائها فقد ذكر أن بين مخلفاته وجد خمسة وعشرون قنطار من الكتب الطبية ومن مؤلفاته: (رسالة في النوم واليقظة رسالة في الزكام، رسالة في الزكام، الوباء ونعت الاسباب، المعدة وامراضها ومداواتها، اصول الطب، مجربات في الطب، الفرق بين العلل التي تشبه أسبابها وتختلف اعراضها رضها، النصح جمع فيه ادوية الملوك والخواص، طب الفقراء المساكين ويهدف هذا الكتاب إلى تنشيط العلوم الطبية وتوجيه المرضى إلى أنواع من العلاج الذاتي).(حوالة، 2000م، ص. 381)

الفلك: لم يعرف المغرب في عهد الفاطميين اهتماما بالرياضيات والفلك والحساب، ولكن الخلفاء الفاطميين كانوا مولعين بالفلك والتنجيم، الذي كان له يعد بعلم الإجرام، لذلك قاموا ببناء عاصمة الدولة المهدية وفق حسابات فلكية خاصة، فأحتطها بطابع الأسد لأنه برج ثابت ولذلك ثبتت، ولأنه بيت الشمس الذي هو دليل الملوك ولذلك كان الملك فيها كان الخليفة المنصور هو الآخر مع أنه كان ملمًا بعلم النجوم، إلا أنه لم يعتقد بتأثيرها، وكان يقول باستمرار (ولقد وقفت في مواقف الحروب التي وليتها أيام الفتنة، إلى حيث انقضائها فما وقفت قط موقفا منها باختيار العلم من علوم النجوم، وكثيرا ما كان الأمر يقع في قلبي ويتحبب لي، وقضايا النجوم تخالفه وتمنع منه، فلا ألقى لتلك القضايا بالا ولا ألتفت إليها، وأعمل ما يقع في قلبي ويتحبب إلي، فيكون في ذلك التوفيق والنصر، وضد ما يوجبه القول بالنجوم، والله ما طلبت هذا العلم إلا لما يدلنا عليه من توحيد الله جل ذكره وتأثير حكمته في متفاعلاته، فإياك أن تشغل نفسك بغير ذلك ولا تلتفت إليه)(الصنهاجي، 1401هـ، ص. 114)

وفيما يتعلق بالخليفة المعز لدين الله، فقد كان ملمًا بعلم النجوم، إلى جانب معرفته بعلوم الطب والهندسة، إلا أنّه لم يكن يؤمن بتأثيرها في مصائر البشر. وكان يعتبر أن التأمل في النجوم وسيلة للتعرّف على عظمة الله وقدرته لكنه لا يفيد في الكشف عن حظوظ الناس أو ما ينتظرهم من قدر. (القاضي النعمان، 1996م، ص. 135)

الرياضيات: كان للخلفاء الفاطميين، القائم والمنصور المعز ذوق هندسي رفيع، ويُروى أن الخليفة الفاطمي الثاني شرع في تنفيذ مشروع جلب مياه عين نهر أيوب إلى مدينة القيروان، رغم أن مقر الخلافة حينها كان في المهدية، غير أنّ ثورة أبي يزيد حالت دون إتمام العمل. ثم فكّر الخليفة المنصور في متابعة ما بدأه والده، إلا أن مستشاريه خوّفوه من العواقب فتعطّل المشروع. ولم يلتفت الخليفة المعز لدين الله إلى تلك التحذيرات، فاستأنف العمل يوم الأحد، غرة المحرم من سنة 348هـ. لكن انتقال ثقل الدولة إلى مدينة المنصورية، العاصمة الجديدة التي أسسها المنصور عقب إخماده ثورة أبي يزيد، أدى إلى تراجع الاهتمام بالمشروع وتقليل جدواه. وأياما كان الأمر عن الفلكيين والرياضيين ومن العلماء الذين برزوا في العصر الفاطمي إلى جانب الخلفاء، الطبيب والفلكي أبو سهل دونش، الذي ألّف مؤلفات في مجالي الفلك والحساب، منها كتاب في الحساب الهندي المعروف بـ حساب الغبار، كما ألّف كتابًا يتناول الفلك وحركات الكواكب، إضافة إلى مصنف كبير في علم النجوم أهداه إلى الخليفة المنصور. كما برز في هذا العصر أيضًا الفلكي اليهودي نسيم بن يعقوب القيرواني، الذي عُرف بتمكّنه من متابعة حركة الكواكب ودقة رصده لها." (القاضي النعمان، 1996م، ص. 148)

ومما تقدم يتبين أن للأزهر دور في الحركة العلمية في القاهرة إذ ان الازهر بدأ بناؤه في (21 جمادي الأول 359هـ) وقد بدأ العمل بنظام الحلقات العلمية فيه في عام (365هـ) وصار جامعة إسلامية مميزة وكبيرة (478هـ) ويرجع الفضل في ذلك إلى الخليفة المعز لدين الله وقائده جوهر الصقلي، ثم إلى القاضي النعمان، تلاهم الوزير يعقوب بن كلس الذي أسهم في تعزيز النشاط العلمي. وكان المسجد منذ نشأته يُعرف بجامع القاهرة، نسبةً إلى العاصمة الجديدة. ومن أبرز العلماء الذين عاصروا عهدي المعز والعزيز وشاركوا في نهضة العلم آنذاك هم ابن زولاق المصري المؤرخ (ت 378هـ)، وعبد الغني المصري (ت 409هـ) الحسن بن الهيثم المصري الفيلسوف واشتهر بعد الأزهر عصر العزيز وتوفي عام (430 هـ) ، ولا شكّ في أنّ هؤلاء العلماء، وغيرهم من أهل المعرفة، كانت لهم حلقات علمية في الجامع الأزهر، أسهموا عن طريقها في نشر العلوم وترسيخ مكانته كمركز للعلم والفكر في العصر الفاطمي (محمد وعلي، 2012، ص. 41)، اما من الأدباء والشعراء في هذه الفترة الشاعر أبو الرمقمق (ت 399هـ)، والشاعر ابن وكيعت

(393هـ) ، والشاعر التهامي (ت 416 هـ)، والكاتب المصري المسبحي (ت 420هـ)، وشاعر دولة العزيز والحاكم عبد الغفار وقتله الحاكم (ت 395هـ) ان هؤلاء الادباء والشعراء يولون اهتمامًا كبيرًا بألقاء ثم ثمرات قرائهم على تلاميذهم من حلقات الأزهر العلمية الحافلة (عبدالوهاب،1965م، ص. 303–304)

وفي عهد الحاكم استمر الأزهر يؤدي مهمته العلمية في نشر العلم والثقافة، وان كان الازهر فوجئ "أصدر الخليفة أمره بإنشاء جامعة جديدة عُرفت باسم دار الحكمة أو دار العلم، وذلك في سنة (395هـ)، "بدأ الجامع الأزهر مسيرته التعليمية كمؤسسة علمية جامعة، وعلى الرغم من أن دار الحكمة كانت تقوم بدور موازٍ في نشر المعرفة وتنظيم الدراسة، فإن الأزهر تميز بطابعه الديني ومكانته كمركز للتعليم الشرعي والعقيدة الإسلامية لبثت مدة حيث تنافس الازهر وتستأثر وحركه بالدراسة المتصلة المنتظمة في تعاليم تتبع الصرامة نظمها وبرامجها التي وُضعت لخدمة الشؤون المذهبية ونشر الفكر العقائدي الفاطمي بين طبقات المجتمع ان اضطربت احوالها وضعف نفوذها العلمي، هذا بينما كان الازهر يسير في سبيل حياته الجامعية الوليدة بخطي بطيئة ولكن محققة(ابن خلكان، (د.ت)، ص. 85–86)

شهد الجامع الأزهر نشاطًا واسعًا في الحياة العلمية والفكرية خلال العصر الفاطمي، واستمر هذا الدور حتى نهايته سنة 567هـ. وقد دخلت الدولة الفاطمية إلى مصر وهي تحمل معها نفوذًا سياسيًا وحركة علمية نشطة. فأدى ذلك إلى ازدهار العلوم والآداب والفنون في مصر والشام، حتى فاق ما كان في العهدين الطولوني والأخشيدي، وأصبح من الممكن مقارنته بما شهدته بغداد من نشاط علمي، خاصة في العلوم العقلية والفلسفية. وقد بلغت الحركة الفكرية في مصر درجة متقدمة، وازدهرت الدراسات الفلسفية والعقلية بها وبالشام. كما أولت الدولة اهتمامًا كبيرًا بدور الكتب، وساهم في ذلك إنشاء الجامع الأزهر ودار العلم بما حملتاه من خصائص علمية. وحرص الفاطميون على نشر العلم، وتشجيع العلماء والأدباء، وإنشاء المكتبات والعناية بها. فقد برز في تلك الحقبة عدد كبير من المؤرخين والفلاسفة والعلماء والرياضيين واللغويين والنحويين والأدباء، ومن أبرزهم تلميذ ابي جعفر النحاس المصري وابن باشا وابن القطاع النحوي المؤيد الشيرازي داعي الدعاة كما خلّف مؤلفات أخرى "إضافةً إلى سيرته وديوانه ومحاضراته، من مؤلفاته أيضًا كتاب (الابتداء والانتهاء، وكتاب المسالة والجواب، وكتاب نهج العبادة وشرح المعاد، والمسائل السبعون، ونهج الهداية للمهتدين، واساس التأويل بالفارسية، والسبح السبع، والايضاح والتعبير في فضل يوم القدير، تأويل الأرواح، المجالس المستهدفة)، تعرضت الحياة الفكرية في مصر الإسلامية لاضطراب شديد في منتصف القرن الخامس الهجري، وذلك عقب اضطراب أوضاع الخلافة الفاطمية في عهد الخليفة المنتصر بالله، حيث أصيبت البلاد بما عُرف بـ"الشدة العظمى" نتيجة القحط والوباء الذي استمر لعدة أعوام ابتداءً من سنة 446هـ. (المقريزي، 1998م، ص. 354/2).

وانشغل سكان مصر حينا بما توالى عليه من المحن، وشغل الخلفاء ورجال الدولة بالتنازع على السلطات، وترتيب الانقلابات السياسية العنيفة تراجعت الحركة الفكرية بعدما عجزت الدولة عن دعم معاهد التعليم بسبب نضوب مواردها، كما فُقدت خزائن الكتب وتفرقت أثناء الفتنة وكانت من انفس واعظم الكتب، كما لم يَسلَم العالم الإسلامي من هذا الاضطراب، وقد امتد أثره إلى الأزهر ودار الحكمة فتأثرت نشاطاتهما العلمية والفكرية فركدت حركة الدروس والتحصيل تبعا لركود الحياة العامة واضطراب الحياة الخاصة، وفي القرن الخامس في عهد امير الجيوش بدر الجمالي المتقلب على الدولة (465هـ) كان اخذ العهد شرطًا جوهريًا بدخول أي اعتقاد جديد إلى المذهب الإسماعيلي والتعرّف عن اسرار المذهب او علم الباطن المعروفة والحكمة وكان تعليم الحكمة يتم في مجالس

يحضرها المعتقد الجديد اما منفردا او إلى جانب آخرين لم يكن يشارك بانتظام في هذه المجالس سوى المعتقدين فقط ولا يسمح لغيرهم بحضورها وحتى يمكن السيطرة على ذلك فأنها كانت تعقد داخل قصور الامام في مكان مخصص وهذا الغرض سواء في افريقية او في القاهرة.

وفي اعقاب الفاطميين بمصر لم تُزل هذه الفترة ما كان قائمًا من خلافات جوهرية حول أسلوب تبليغ الدعوة وتنظيم مجالس الحكمة، التي تولّى إدارتها طيلة ستين عامًا الأولي وكان للحكم الفاطمي في مصر منصب خاص هو قاضي القضاة إذ توارث ستة من اسرة بني النعمان منصب القضاة في هذه الفترة وكان أول من أضيفت اليه الدعوة الى جانب القضاة منهم هو الحسين بن علي بن النعمان سنة كانت هذه المجالس تُعقد في بدايتها يومين في الأسبوع، هما الخميس والجمعة، في مكان داخل القصر يُعرف بـ'المحوَّل'، وذلك خلال أوقات الاجتماع كان الداعي يتولى إمامة المصلين في رواقه خلال يومين في الأسبوع يعقد الداعي وقد كانت تُعقد خمسة مجالس، منها للأولياء ومجلس للخاصة وشيوخ الدولة ومن يختص بالقصور من الخدم وغيرهم ومجلس العوام الناس وللطارئين على البلد ومجلس للنساء وكان يعقد في جامع الازهر ومجلس حرم نساء القصر، اما كيفية اعداد هذه المجالس وكتابتها وكان الداعي يعقد مجالسه في داره، ثم يرفع ما يُتخذ فيها من قرارات إلى المسؤولين عن شؤون السلطة ويتخذ لهذه المجالس وكانت تُكتب هذه المؤلفات وتُنقَّح بعد عرضها على الخليفة، واستمر هذا النهج في عهد الحاكم بأمر الله، وفي إطار السياسات المتناقضة التي اتبعها آنذاك وصار تحول كبير على مجالس الحكمة وذلك أن مجموعة من الناس كان من عادتهم أن يحضروا إلى القصر ليستمعوا إلى ما يُتلى عليهم من كتب مجالس الدعوة (محمد وعلي، 2012م، ص. 50-51)

لكن في سنة (400هـ) ورد في أحد السجلات الصادرة عن أبي علي المنصور الحاكم بأمر الله إذ أمر بإصدار نصا على وقف مجالس الحكمة التي كانت تُعقد للأولياء كل خميس وجمعة ، كما أقر سجل اخر يختص بالأموال التي كان القضاة يتولّون تحصيلها من الخمس والفطرة والنجوى ، لكن سنة(401هـ) ثم أعاد الحاكم سجلا امر فيه بإعادة مجالس الحكمة واخذ النجوى انشاء الفاطميون دار الحكمة أو دار العلم أولا ليضاهوا العباسيين في دار الحكمة ولكن الفاطميون أنشأوا دار الحكمة ، كان استخدام دار الحكمة من قبل الفاطميون هو مما يؤيد مذهبهم ويعزز خلافتهم والدار نفسها معقدة غاية التعقيد وكان فقهاء الدولة يتولّون تنظيمها إلى جانب فقهاء دار الحكمة وكان ذلك يجري تحت إشراف الداعي، ثم يأتي بعده الخليفة نفسه، وبعد مراحل من التحفّظ والمراجعة تُعرض هذه المجالس على السامعين. فالدار كانت مؤسسة دعوية منظّمة لنشر المذهب الإسماعيلي، ولكن تحت غطاء علمي. ومناهجها كانت تسير وفق السياسة العليا للدولة؛ فهي في الأساس دار دعوة، ثم دار علم أو حكمة. ولهذا فإنها مرّت بمراحل متعددة تغيّرت بحسب السياسة التي كان الخليفة يسعى إلى تحقيقها (محمد وعلي، 2012م، ص. 51).

المبحث الرابع: دور المكتبات ودار الحكمة والوزراء في الحياة الثقافية في مصر الفاطمية

دور المكتبات ودار الحكمة في الحياة الثقافية:

1- دور المكتبات:

يرتبط تاريخ المكتبات في الإسلام ارتباطا وثيقا بالتاريخ العربي الإسلامي، فالمعروف ان العرب قبل الإسلام عاشوا في الجزيرة العربية الإسلامية احقابا طويلة وهم في شبه عزلة عن العالم رغم اتصالاتهم المحددة مع الروم والفرس والاحباش عن طريق التجارة

وبشكل عام كانت حياتهم بدوية متنقلة، اما علومهم فكانت تتناسب ومتطلبات حياتهم ولم يهتم العرب قبل الإسلام بالتدوين، فقد اعتمدوا على الذاكرة في حفظ ونقل نتاجهم الفكري وبالتالي لم يكن عند العرب قبل الإسلام سجلات مكتوبة بحيث لا يمكن الحديث من شي اسمه مكتبة ويمكن ان يعزي ذلك إلى الإسلام وعدم توافر مواد للكتابة بالرغم من أن قسما منهم عرف الكتابة وكتب على عظام الحيوانات وسعف النخيل والحجارة(همشري وعليان، 1988م، ص. 13)

واهتم الخلفاء أيضا بتأسيس المكتبات العامة وجمعوا فيها الكتب العربية والفارسية والمترجمة عن اليونانية والفارسية وغيرها من اللغات، كما انشأوا المكتبات في المدارس والمساجد ولم يكن هذا غريبا لان الإسلام حضّ على العلم، واستخدام العقل في أمور الحياة فقال تعالي" هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون) وقد زاد من هذا النهضة العلمية والثقافية استخدام الورق في الكتابة واعطوا الحبر الوانا مختلفة وزخرفوا واجهات الكتب وذهبوها، ونشطت حركة التدوين والتأليف نشاط لم يعهده التاريخ الا في العصر الحاضر، ونظرا لاهتمام المسلمين بالقرآن الكريم وتدوينه صنعوا النقاط واشكال الحروف وقد أرسى العلماء قواعد علم النحو والصرف، فكان أبو الأسود الدؤلي أول من وضع أسس ضبط الكتابة، حيث استخدم النقاط للدلالة على الحركات. ثم تبعه نصر بن عاصم الليثي، فميز بين الحروف المتشابهة فجعل للباء نقطة، وللتاء نقطتين، وللجيم نقطة داخلها، ليسهّل القراءة ويمنع اللبس. وجاء بعدهما الخليل بن أحمد الفراهيدي، فأكمل هذا البناء بوضع علامات الشكل من ضمة وفتحة وكسرة والتنوين، مما ساعد على توضيح النطق وحل إشكالاته.

وبازدهار حركة التأليف والترجمة ظهر الاهتمام بالكتاب وازدهرت هذه المكتبات ازدهارا عظيما وازدادت اعداد الكتب وشغف الناس الشديد بالقراءة وكان من الطبيعي أن تؤدي هذه النهضة العلمية إلى جمع الكتب والمؤلفات وتكوين المكتبات الخاصة ببعض الافراد وقد كانت في مجموعها صغيرة ولكن مكتبات الخلفاء وكبار رجال الدولة ما لبثت ان تحولت الى مكتبات عامة لخدمة طوائف معينة من القراء ولقد أوصى بها أصحابها ان تحفظ في المساجد والمدارس حفظا دقيقا، وكذلك فان أساتذة معاهد العلم اهدوا مؤلفاتهم ومكتباتهم الخاصة إلى معاهدهم التي كانوا يدرسون فيها(الصوفي، (د.ت)، ص. 65)

لقد مثّل القرآن الكريم، ولا يزال، نقطة تحول كبرى في تاريخ الفكر والمعرفة الإنسانية؛ إذ رفع من شأن العلم والعلماء إلى مكانة رفيعة، وأقسم الله في آياته بالكتاب والقلم وما يسطرون. كما حثّ القرآن على القراءة والتعلم منذ أول آية نزلت على النبي محمد ﷺ: اقرأ باسم ربك الذي خلق، مما جعل المعرفة أساسًا لبناء الإنسان والمجتمع ومن هنا فليس بغريب ان توصف الحضارة العربية الإسلامية بانها كتب ومكتبات، واذا كان المصحف الشريف هو اول كتاب ظهر في لغة العرب، فقد بدأت حركة التأليف منذ منتصف القرن الأول الهجري، وشهد القرن الثاني ظهور الكتب وحركة تدوين التراث والتاريخ متأثرة في ذلك بطريقة كتابة الحديث، أما القرنان الهجريان الثالث والرابع فقد ازدهرت حركة التأليف خصوصا بعد إقامة صناعة الورق في بغداد(بدر، 1992م، ص. 33) وبفضل شغف المسلمين الأوائل بالعلم والكتب والقراءة، وبسبب احتكاكهم بالثقافات الأجنبية في البلدان التي فتحوها، ظهرت لديهم أنواع متعددة من المكتبات وانتشرت بين مختلف الأمصار.

يمثّل تاريخ المكتبات جزءًا لا ينفصل عن مسيرة الحضارة العربية الإسلامية وفكرها؛ إذ ارتقى برقيها، وأسهم في ازدهارها، ونضج بنضوجها، كما أصابه التراجع حين تراجعت. وان تاريخ الكتب عند المسلمين مهم جدا واساس المعرفة تطور المعرفة الإنسانية

عندهم، ذلك أنه لم تتفوق على المسلمين امة من الأمم في حبهم للكتب والعناية بالمكتبات والمعرفة عامة، والمكتبات من الهم وسائل نشر المعرفة على مدى العصور وقد انتشرت المكتبات في الإسلام انتشارا واسعا، وهي وان كانت ثمرة من ثمار الحضارة العربية الإسلامية الا انها تعكس في تاريخها هذه الحضارة التي كانت نفسها ثمرتها، وان الاطوار التي مرت بها هي اطوار الحضارة الإسلامية بشكل عام ويعد العصر العباسي عصر الابداع في الحضارة الإسلامية وفيه نضجت وأينعت واتت أكلها وزخرت البلاد الإسلامية بالعلماء والتلاميذ والمعاهد والمدارس وكان للمكتبات من ذلك نصيب موفور اذ تبارى الخلفاء والامراء والافراد والوزراء والحكام والولاة في العناية بالمكتبات وفي تشجيعها

أنواع المكتبات في الحضارة الإسلامية

شهدت الحضارة الإسلامية ظهور أنواع متعددة من المكتبات، من أبرزها المكتبات العامة، والمكتبات الخاصة، وكذلك مكتبات الخلفاء.

مكتبات الخلفاء: وهي شكل من أشكال المكتبات التي انتشرت في أنحاء العالم الإسلامي من الشرق الى الغرب وكان الخلفاء والأمراء والحكام يتولّون إنشاء هذه المكتبات من اجل انفسهم وجعلوا منها مجالس للمناظرات والسمر والبحث العلمي، كما كانت وسيلة لظهور مذهب يتبناه الحكام والأمراء والعامة، ومن أمثلتها المكتبة التي أنشأها الساميون في خراسان ومكتبة الحكم الثالث وخزنة الكتب في العصر الفاطمي، وإذا انتقلنا إلى مصر في عهد الخلافة الفاطمية، وجدنا اهتمامًا استثنائيًا بالعلم والكتاب والمكتبات؛ إذ إن الدعوة الفاطمية قامت على المعرفة، واعتمدت في نشر مبادئها على التعليم والإقناع والتوجيه، وبث الأفكار بأساليب غير مباشرة.

ويُعدّ المعز لدين الله أول من أولى العلم اهتمامًا واسع النطاق، إذ أسس مدينة القاهرة والجامع الأزهر. ثم جاء بعده ابنه العزيز، فوسّع هذا الاهتمام بالمعرفة والتعليم، فأنشأ داراً للعلم إلى جانب الجامع الأزهر، وخصصها لنحو خمسة وثلاثين عالمًا. كما كان شديد العناية بالكتب، فاجتهد في جمعها واقتنائها بطرق متعددة. وساعده على ذلك ان وزيره يعقوب بن كلس نفسه كان محبا للعلم مشجعا لأهلها جماعة للكتب نصيرا للفنون والحقيقة توصف خزائن الفاطميين وتُعَدّها من غرائب العصر، وليس لها نظير في سائر بلاد الإسلام دار كتب اعظم منها، وكان عندهم نوعان من الخزائن: الأولى خزائن القصر الخارجية وعدتها أربعون خزانه، وكانت اشهرها خزانة التي قيل فيها (ام الخزائن) وجُمعت الكتب في أحد مجالس العلم البيمارستان العتيق(مستشفى) اليوم وقد ضمت ما يزيد على مئة ألف مجلد في مختلف العلوم المهمة يطول الأمر في عدتها اما الخزائن الداخلية فكان الاطلاع عليها محظورا على العامة على حين ان العامة كان مسموحا لهم الاطلاع والاختلاف الى خزائن القصر الخارجية(سعيد، 1984م، ص. 2)

كذلك يقول المقريزي عن هذه الخزائن، وقد اعتُبرت من روائع الدنيا وعجائبها ، ويقال انه لم يكن في جميع بلاد الإسلام دار كتب أعظم من التي كانت بالقاهرة في القصر ومن عجائبها انه كان فيها 1288 نسخة من تاريخ الطبري إلى غير ذلك، وضمت ما يقارب ألفًا وستمائة كتاب، كما اشتملت على المخطوطات نُسبت إليها أشياء كثيرة والواقع أن مكتبات الفاطميين كانت تحوي نسخا عديدة، ويهتم الخلفاء بجمع نوادر المؤلفات (المقريزي، 1998م، ص. 352/2)(حمادة، 1978م، ص. 2)، وامهات الكتب، والكتب المخطوطة بخطوط مؤلفيها والكتب المخطوطة بخطوط أشهر الخطاطين ولو كلفهم ذلك كثير من المال والجهد والعناء ذكر

عند العزيز الفاطمي (كتاب العين) في اللغة فاخرج منه نيفا وثلاثين نسخة من خزائنه منها واحدة بخط الخليل بن احمد مؤلفها وحملت اليه نسخة من تاريخ الطبري اشتراها بمائة دينار، فامر الخازن فاخرجوا من خزائنه عشرين نسخة منها نسخة بخط محمد بن جديد المعروف بابن جنيد.

كذلك اهتم الفاطميون بتأثيث مكتباتهم بأفخم الأساس وفرشوا الارض بالبساط الجميلة المزخرفة وتعليق الستور الممتازة على الأبواب والممرات، فقد دخل احد السياح مكتبة الفواطم هذه فرأى فيها قطعا من الحديد الأزرق غريب الصفة فيها صورة أقاليم الأرض وجبالها وبحارها ومدنها وانهارها ومساكنها وجميع المواطن المقدسة مبينة للناظر مكتوب بأسماء طرائقها ومدنها وجبالها وبلادها وانهارها وبحارها ومدنها وغيرها بالذهب والحرير، وقد تعاودت الفتن والحروب والثورات على هذه المكتبات فانتقصت وانتهبها حتى دخل صلاح الدين القاهرة واسقط الخلافة الفاطمية سنة (867 هـ / 1171م)، فطرح محتويات جميع مكتبات الفاطميين للبيع بالمزاد العلني . (حمادة، 1978م، ص. 2)

اما عن دار الحكمة التي اسسها الحاكم بأمر الله فهنالك شهد القرن الرابع الهجري تنافسًا بين الفاطميين والعباسيين في السياسة والعلم والأدب، فأسس الفاطميون دار الحكمة بالقاهرة عام (318 هـ / 1881م)، على نحو ما كان عليه بيت الحكمة في بغداد وجعلوا فيها مكتبة كبيرة ضمت فيها آلاف الكتب المنوعة والنادرة المنال، والتي تمتاز بجودة الخط، وجمال التجليد ودقة الزخارف وهي في شتي العلوم والفنون والمعارف تجد فيها كتب الفقه والنحو واللغة والحديث والسير والنجوم والرومانيات والكيمياء والفلسفة والطب وغيرها من كل كتاب عدة نسخ وفيها المصاحف المذهبة بالخطوط المنسوبة، كخط ابن مقلة وابن البواب وغيرهما من الخطاطين(حمادة، 1978م، ص. 2)

يقول المقريزي: ان الحاكم بأمر الله نقل اليها كتبا مستمدة من مكتبة قصره ومن خزائن القصور المزدهرة بما يقدر بستمائة الف مجلد من اصل تلك الكتب منها الفريدة والنادرة، وكان عددهم يقارب مئة ألف "ذات مجلدات بديعة الخط والتجليد، حتى وصل عدد كتب دار الحكمة لاحقًا إلى مليون وستمائة ألف مجلد ولم يكن في سائر بلاد الإسلام دار كتب أعظم من دار الحكمة، إذ احتوت على مصورات جغرافية، وآلات فلكية، وخطوط نادرة، وأقلام منسوبة، وتحف فنية ثمينة. ومن بين مقتنياتها كرتان أرضيتان: إحداهما من الفضة صنعها بطليموس، ثم آلت إلى الأمير الاموي خالد بن يزيد بن معاوية، ونُقش عليها: «حُملت هذه الكرة من الأمير خالد بن يزيد بن معاوية». أما الثانية فكانت من النحاس، صنعها أبو الحسن أسد الدولة صالح بن مرداس في سنة(318هـ)، فُتحت الدار المعروفة بدار الحكمة في القاهرة، وجلس فيها العلماء والفقهاء، ونُقلت إليها الكتب من خزائن القصور العامرة. وأقبل الناس إليها للقراءة، من فلكيين ونحويين ولغويين وأطباء. وبعد ذلك فُرشت الدار وزُخرفت، وعلقت الستور على أبوابها وممراتها، وأقيم فيها القوام والخدم والفراشون وغيرهم من العاملين (المقريزي، 1998م، ص. 376)(أيمن، 1992م، ص. 567) ، واهتموا بخدمتها وحصل في هذه الدار من خزائن امير المؤمنين الحاكم بأمر الله من الكتب من سائر العلوم والأدب والخطط المنسوبة مالم مثله مجتمعا لاحد قط من الملوك واباح ذلك كله لسائر الناس على طبقاتهم من يؤثر قراءة الكتب والنظر فيها فكان من المحاسن المأثورة أيضا التي لم يسمع بمثلها اجراء الرزق لمن رسم له الجلوس فيها والخدمة لها من فقيه وغيره وحضرها الناس على طبقاتهم ووُفّر في الدار كل ما يحتاج إليه الباحثون والناس من أدوات الكتابة، من حبرٍ وأقلامٍ وورقٍ ومعابد، لتيسير أعمال النسخ والتأليف والمطالعة تولّى الحاكم

بأمر الله الإشراف المباشر على الحركة العلمية في دار الحكمة، فكان يتابع نشاطها العلمي وما يجري فيها من بحوث ومناظرات بنفسه وأوقف الحاكم بأمر الله على دار الحكمة ما يكفل استمرار عمارتها، وتوفير رواتب العلماء والفقهاء والخدم العاملين فيها، كما خصص لها موارد لتغطية نفقاتها المتنوعة، وتزويد روادها بما يحتاجون إليه من أدوات الكتابة ولوازم البحث. وجُعل لها نصيب محدد من أوقاف الجامع الأزهر، وجامع المقس، وغيرها من المساجد. وقد اقتفى الخلفاء الفاطميون من بعده أثره، فزادوا في أوقافها، وأنفقوا عليها بسخاء حفاظًا على ازدهارها العلمي ومكانتها الثقافية وقيل إن النفقة عليها بلغت 13 مليون درهم سنويا وقيل أن النفقة السنوية كانت – 287 دينار في السنة (أيمن، 1992م، ص. 567)

والسبب الذي دفع الخلفاء الفاطميين إلى مضاعفة الإنفاق على دار الحكمة، وبذل الأموال بسخاء في سبيلها، هو حرصهم على تعزيز مكانة دولتهم العلمية والفكرية، وإظهار التفوق الثقافي للمذهب الفاطمي بين سائر المذاهب في العالم الإسلامي انهم اتخذوها مركز ثقافيا لنشر دعوتهم ومبادئ مذهبهم الذي يؤيد حقهم في الخلافة خاصة وان التنازع بينهم وبين العباسيين كان قويا على الخلافة، وقد كانت الدولة العباسية آنذاك تمرّ بمرحلة من الضعف السياسي، مما أتاح للفاطميين الفرصة لتعزيز نفوذهم العلمي والفكري في العالم الإسلامي وقد تحكم الاعاجم في الدولة وانتزعوا السلطة من الخليفة فلجأ الخلفاء العباسيون إلى الطعن في نسب الفاطميين، مدّعين أنهم لا ينتمون إلى نسل الإمام جعفر الصادق (عليه السلام)، وشنّوا حملة شديدة ضد مذهبهم للتشكيك في شرعية خلافتهم. ولم يجد الفاطميون بُدًّا من مواجهة هذا العداء، فاعتمدوا الدعوة المذهبية وسيلة للدفاع عن خلافتهم، والرد على ما دوّنه علماء أهل السنّة المؤيدون للخلافة العباسية، فنقضوا ما كتبوه وبيّنوا تناقضاته. وقد تميزت الدعوة الفاطمية في تلك الفترة بقوة تأثيرها واتساع انتشارها مقارنة بالدعوة العباسية. وكانت دار الحكمة تنظم الدعوة في مصر فأنها صارت مركزا لنشر المذهب الفاطمي شمال افريقيا وبلاد الشام وبلاد الجزيرة وتخرج منها اعلام المذهب ومجتهدوه ودعاته الذين خدموا الفاطميين أجل خدمة وامدوا الخزانة الفاطمية بشتى الكتب الفقهية والعلمية والأدبية التي تعزز مذهبهم وتؤيد خلافتهم، ومن الذين تولوا دار الحكمة هو داعي الدعاة أبو نصر هبة الله بن موسي بن ابي عمران الشيرازي المعروف بلقب (المؤيد في الدين) تولى الدار في خلافة المنتصر وله ثمان مائة مجلس عقدها في دار الحكمة وهي تقع في ثمانية مجلدات كبيرة، تناول فيها موضوعات اسماعيلية شتى دينية وسياسية وادبية وتأويلية، وإلى جانب ذلك، فقد أدّت دار الحكمة دورًا بارزًا في خدمة العلم، إذ كانت تُدرّس فيها علوم النحو واللغة والطب والفلسفة والكيمياء، وخرجت منها نخبة من أعلام الفكر في العصر الفاطمي الذين أسهموا في ازدهار الحياة العلمية والثقافية وبقيت الدار عامرة بمجالسها العلمية من (395 –567هـ) غير أنّ الدار تعرّضت لنكبة جسيمة أدّت إلى ضياع عدد كبير من كتبها النفيسة ومخطوطاتها النادرة وذلك ان الخليفة المنتصر بالله بن الظاهر كان ضعيفا سيئ التصرف مدمنا على الخمر، اهمل البلاد فثار عليه الجيش بقيادة ابن حمدان واضطره الى بيع كنوز قصره لتلبية احتياجاتهم وامتدت أيدي الجيش إلى خزانة كتب دار الحكمة وكانت تحوي كنوز ثمينة، ومما كان فيها الفان واربعمائة ختمة مكتوبة بخط محلى بالذهب والفضة فاقتسمها الاتراك فنهبوها فيما بينهم، واقتسموا كتب دار الحكمة وما حوته من نفائس، وحملوا منها أحمالًا عديدة إلى الإسكندرية وعندما بلغت قرية أبيار، هاجمها بعض العرب من قبيلة لواتة فنهبوها واحرقوا ورقها وانتزعوا جلودها الثمينة وجعلوا منها احذية وهكذا تبدد قسم لا يستهان ومن بين ما ضاع منها كتب دار الحكمة، وهي من أعظم النكبات التي لحقت بها (أيمن، 1992م، ص. 569)

الخاتمة:

أدى قيام الدولة الفاطمية بالمغرب الإسلامي ثم انتقالها إلى مصر تنشيط الحياة الفكرية فالاهتمام المذهبي لتلك الدولة جعل العديد من العلوم تطفو على السطح وتزدهر كالفقه وحديث وتفسير وعلوم أدبية من نثر وشعر ولغة ونحو بالإضافة إلى العلوم الطبية والفلك والهندسة فارتبطت تلك العلوم بالدرجة الأولى بالمذهب الإسماعيلي.

أما عوامل ازدهار الحياة الفكرية والثقافية، فتمثلت في وجود مراكز الإشعاع الثقافي المنتشرة في أنحاء المغرب ومصر وكانت محط اهتمام العديد من الشخصيات المشهورة الأدباء والمفكرين والعلماء ممن أسهموا في إبراز شهرة هذه المراكز مثل المهدية والمنصورة ورقادة والمسيلة في المغرب وفي مصر الأزهر الذي لعب دور كبير في الناحية الثقافية وكذلك دور دار الحكمة ، فلم يكن لهذه المراكز أن تبلغ هذه المكانة لولا توفر المؤسسات الثقافية بها من مساجد وكتاتيب ومكتبات، التي اعتبرت القاعدة الأساسية لنشر العلم والمعرفة في أوساط المغاربة والمصريين

لقد تفرد الفاطميون بإنشاء دور الكتب الكبرى في الإسلام واجتمع فيها من أهمها الكتب ومصادر العلوم المختلفة، من أثر الفاطميين التي لا يزال المسلمون يستفيدون منها حتى اليوم جامع الأزهر

الخلاصة:

1- تناول البحث اهتمامات الفاطميين الثقافية ودورهم في استقطاب العلماء خلال العصر الفاطمي (296–567هـ / 909–1171م).

2- اعتمد على المنهج التاريخي التحليلي، مركّزًا على المؤسسات العلمية مثل الجامع الأزهر ودار الحكمة.

3- أبرز كيف أن الثقافة والعلم كانا وسيلة سياسية ودينية لتعزيز الشرعية ونشر المذهب الإسماعيلي.

أهم النتائج

الثقافة كأداة سياسية: لم يكن الاهتمام بالعلم نهضة معرفية فحسب، بل وسيلة لترسيخ شرعية الحكم.

1- المؤسسات العلمية:

2- الجامع الأزهر: مركز علمي ضخم واصل دوره بعد سقوط الدولة الفاطمية.

3- دار الحكمة: ضمت مئات الآلاف من الكتب وكانت ملتقى العلماء.

4- تنوع العلوم: شملت علوم الشريعة، الأدب والشعر واللغة، والطب والفلك والرياضيات.

5- استقطاب العلماء: وفود علماء من الأندلس والمغرب والعراق والشام جعل القاهرة مركز إشعاع حضاري.

6- إرث ممتد: استمر أثر الفاطميين الثقافي حتى بعد سقوط دولتهم، خاصة عن طريق الأزهر الشريف.

التوصيات:

1- إجراء دراسات مقارنة بين التجربة الفاطمية وتجارب الدول الإسلامية الأخرى (العباسيين، الأمويين...).

2- التركيز على البعد الثقافي في الدراسات التاريخية وعدم الاكتفاء بالجانب السياسي والعسكري.

3- تحقيق ودراسة المخطوطات الفاطمية المتعلقة بالأزهر ودار الحكمة.

4- إبراز دور التعددية المذهبية والدينية التي ساهمت في إثراء الحياة الفكرية.

المصادر والمراجع

1-ابراهيم حسن حسن. (1984م). تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر وسوريا وبلاد العرب. القاهرة: مكتبة النهضة.

2-ابراهيم حسن حسن، وطه احمد شرف. (د.ت). المعز لدين الله (المجلد الثانية). القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.

3-ابن خلكان، ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن ابي بكر. (د.ت). وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (المجلد الثالثة). (تح: إحسان عباس، المحرر) بيروت: دار صادر.

4-الاصفهاني، ابو نعيم أحمد بن عبد الله (ت430هـ). (2002م). حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (المجلد ط2). (تح مطفى عبد القادر، المحرر) بيروت: دار الكتب العلمية.

5-ايمن، فؤاد سيد. (1992م). الدولة الفاطمية في مصر تفسير جديد (المجلد الاولى). القاهرة: الدار المصرية اللبنانية.

6-بدر، احمد. (1992). المدخل الى علم المكتبات والمعلومات. الرياض: دار المريخ للنشر.

7-بونار، رابح. ((د.ت)). المغرب العربي تاريخه وثقافته (المجلد الثانية). الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

8-حوالة، احمد يوسف. (2000م). الحياة العلمية في افريقيا منذ الفتح وحتى منتصف القرن الخامس. مكة المكرمة: مركز بحوث الدراسات الاسلامية.

9-الدسوقي، ابراهيم جاد الرب. (د.ت). شعر المغرب حتى خلافة المعز. القاهرة: مكتبة النجاحي.

10-الدوغاني، رحيم عبيد جفجير فادي. (2025). الصحابي التابعي أويس القرني المرادي (رضوان الله عليه). مجلة واسط للعلوم الانسانية، الصفحات 348-370.
doi:https://doi.org/10.31185/wjfh.Vol21.Iss3.1030

11-سعيد، احمد حسن. (1984). انواع المكتبات في العالمين العربي والاسلامي (المجلد السابعة). دار الفرقان للنشر والتوزيع.

12-الصنهاجي، ابن حماد. (1401هـ). أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم. (تح: التهامي نقرة وعبد الحليم عويس، المحرر) القاهرة: دار الصحوة للنشر والتوزيع.

13-عبد الوهاب، حسن حسني. (1965م). ورقات عن الحضارة العربية بافريقيا التونسية. تونس: مكتبة المنار.

14-عماد الدين، ادريس. (1188م). تاريخ الخلفاء الفاطميون بالمغرب (المجلد الاولى). (تح: محمد اليعلاوي، المحرر) بيروت: دالا المغرب الاسلامي.

15-القابسي، ابو الحسن. (1986م). الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين (المجلد الأولى). قرطاج تونس: الشركة التونسية.

16-الكنوني، عبد السلام. (1981م). المدرسة القرآنية في المغرب من الفتح الاسلامي الى ابن عطية (المجلد الاولى). الرباط: مكتبة المعارف.

17-المالكي، ابي بكر عبد الله بن محمد المالكي. (1983م). رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وزخهدهم وفضائلهم وأوصافهم (المجلد الاولى). (تح: بشير الكبوش، المحرر) بيروت: دار المغرب الاسلامي.

18–المراكشي، ابن عذاري ابو العباس بن احمد محمد. (1983). بيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب (المجلد الثالثة). بيروت: دار الثقافة.

19–المقريزي، ابو العباس احمد بن علي تقي الدين. (1998م). المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (المجلد الأولى). (تح: خليل المنصور، المحرر) بيروت: دار الكتب العلمية.

20–المقريزي. (1996م). اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الخلفاء (المجلد الثانية). (تح: جمال الدين السيال، المحرر)

21–القاضي النعمان، ابو حنيفة بن محمد بن حيون التميمي المغربي. (1983م). اختلاف اصول المذاهب (المجلد الثالثة). (تح: مصطفى غالب، المحرر) بيروت: دار الاندلس للطباعة والنشر.

22–القاضي النعمان، ابو حنيفة بن حيون التميمي المغربي. (1996م). المجالس والمسايرات (المجلد الاولى). (ومحمد اليعلاوي، والحبيب الفقهي تح:ابراهيم شيوخ، المحرر) لبنان.